الزمان فقال ألا يتمنى إلى ما غدرا به، وكيف بإدني عيشة الناس راضيا،
ورأيت علو الهمم برعوا لمحاله، ويحيى نشيه الحال من كان ناجيا،

وقال بعضهم مسليا عن العطلة وتسويف حموله وجهله

لعمرك ما الجهول اشتغل خاليا ، ولا كل شغل فيه للمرء منفعة ،
إن كانت الأرزاق في الغرب والنوى ، عليك سواء فاغتنم لذة الدعة ،
وإن ضقت ما عيش يعود الله ما ترى ، إلا رب ضيق عواقبه سعة ، وقال
(الحق) كن مجهول الشخص مانع ، لا تطلب الذكر في المجامع ،
فلم يزال الفتى بخير ، ما لم تشر نحوه الأصابع ،

ابن معلة يقول عمر ما ذكب وقطعت بيري،

زمان يمر وعيش يمر ، ودهر يكر بما لا يسر ،
وحال يزول وهم ينوب ، ودنيا تنادي بأن ليس حر ، ولد
وأحسن ما استشعر المبتلون ، على النائبات بحلم وصبر ،
ولله في كل ما نابني والبلاء ، وأوكد حمد الله وشكر ،

الباب الثالث في العقل وفيه ثلاثة فصول الفصل الأول

في هذا الباب في مدح العقل وفضله وشرف مكتسبه وجبليه

قال الله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد قال الحكماء في حد العقل مقالات منها أنه مدرك للأشياء على ما هي عليه من حقيقة معانيها وصحة مبانيها وقال عمرو بن العاص العقل أن تعرف خير الشرين وشر الخيرين (حد العقل) وسئل الحسن بن سهل ما حد العقل فقال الوقوف عند كل شيء قولا وفعلا وسئل آخر فقال إصابة الظنون والعلم بما قد كان وما يكون وما جرى في الغيب أثناء التجربة وقيل لحكيم ما مقدار العقل فقال ما لم يكن ملا في واحد فليجد له مقدارا وما دون لكل شيء غاية ونهاية وحد العقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار في الحسن والطيب واختلفوا أيضا في (ماهية العقل) ماهيته كما اختلفوا في حده فقال بعضهم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة في القلب كالنور في العين وهو البصر فالعقل نور في القلب والبصر نور في العين ينقص ويزيد ويذهب ويعود وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فإنها لا تعمى

٧١ بعار

٢٢

الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الأعمى من عمي بصره ولكن الأعمى من عميت بصيرته فكما يدرك بالبصر شواهد الأمور كذلك يدرك بنور العقل كثير من المحجوب والمستور وقال بعض الحكماء العقل غريزة لا يعرف أحوالها بفعلها في نفسه ولا في غيره ولا يعرف إلا بأفعالها ولا يعقل ألا ترى أنه عليه وعلى كل حال فلا سبيل إلى وصفه بجسم ولا لون ولا طول ولا عرض وقال عبد الله بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان المعروف بالعتبي العقل عقلان عقل تفرد الله بصنعه وهو الأصل وعقل يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع فإذا اجتمعا قوي كل واحد منهما صاحبه كتقوية النار في الظلمة النور أخذا من قول ... وثبت وقيل أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع، ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع،

ويفهم من هذا ما ذكرناه أن العقل في القلب وهذا القول هو الموجود عند أكثر والعلوم من جهة الآثار قال الله تعالى أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العقل ما نور به بين الحق والباطل وقال بعضهم هو في الدماغ وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه وقال عمرو بن العاص يشغر الغلام لسبع ويحتلم لأربع عشرة وينتهي طوله لإحدى وعشرين وينتهي عقله لثمان وعشرين ويبلغ أشده لخمس وثلاثين وما بعده إلا تجارب قال بعضهم كل شيء يحتاج إلى العقل والعقل يحتاج إلى التجارب وقال بعض الحكماء أربعة تحتاج إلى أربع الحسب إلى الأدب والسرور إلى الأمن والقرابة إلى المودة والعقل إلى التجربة وقال بعضهم

إذا كان عمر المرء في غير طاعة ، أجاءت له الأيام في كل ما عقلا ، وقال
المتنبي وما استغامت فيأنا رأي الله ، بمن ما عوج المشيب قناتي ،

ومما اخترنا لهم أحسن الكلم وأسناها في العقل أشرف المواهب وأسماها قال عبد الله بن عباس دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها يا أم المؤمنين أرأيت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب إليك قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال لي أحسنهما